

غصن زيتون خليجي يحمله وزير الخارجية الكويتي الى ايران.. السعودية تجنب أخيرا للحوار..

ووزير خارجيتها يتحدث بـ"حميمية" عن حسن الحوار والقواسم المشتركة.. فلماذا هذه الهجمة "التمالحية" المفاجئة؟ وكيف سترت طهران؟

عبد الباري عطوان

عندما طالبنا في هذا المكان، وقبل ثلاث سنوات، بالحوار مع ايران من اجل تسوية الخلافات العالقة، على ارضية الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، انفتحت علينا أبواب جهنم، وحشدت الجيوش الالكترونية السعودية، التي تمثل خادم "الحرمين الشريفين" وحكومته كل أسلحتها الهجومية، مستعينة بقاموسها الخاص بها، الذي يضم مفردات مثل علاء المجرم، والكفرة، والرافضة، وعبدة النار، وأبناء المتعة، للهجوم علينا وغيرنا، ورفضنا مطلقا، وسنرفض دائما، ان ننجر الى هذا المستوى الها بط، وتمسكتنا بموافقنا التي ترى الأمور بمنظور مصلحة الامة والعقيدة.

اليوم (الأربعاء) يحط وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الخالد الصباح الرحال في طهران عاصمة "المجرم"، حاملا رسالة من الأمير صباح الأحمد، وبتكليف من قادة دول مجلس التعاون الخليجي السبعة، اثناء قمة البحرين لفتح حوار مع القيادة الإيرانية لتسوية الخلافات الخليجية.

الشيخ الصباح اكد اثناء لقائه نظيره الإيراني محمد جواد ظريف "على ضرورة إزالة الخلافات في وجهات النظر، وازالة سوء التفاهم بين دول المنطقة عبر حوار صريح في أجواء هادئة، والتحلي برؤية مستقبلية لمواجهة الاخطار التي تهدد المنطقة، وعلى رأسها الإرهاب"، مؤكدا "وجود قواسم مشتركة عديدة بين ايران ودول المنطقة، تاريخية وثقافية ودينية".

دول مجلس التعاون الخليجي بقيادة السعودية تتخذ هذه الخطوة "المتأخرة" من موقف ضعف، وفي ظل اخطار عديدة تواجهها المستويين الداخلي والإقليمي، اضافة الى المستوى الدولي، فقد خسرت حربها في سوريا، وما زالت متورطة في حرب استنزاف في اليمن التي تقف على أبواب عامها الثالث، وخزائنهما فارغة، او

مثقلة بالديون الداخلية والخارجية، بعد تبخّر الاحتياطات المالية وارتفاع العجوزات في الموارد العامة وإلغاء مشاريع بني تحتية بسبب تراجع العوائد النفطية، ولكننا نؤمن بأنه إن تأتي متأخرًا أفضل من أن لا تأتي أبداً.

في بينما احتلت إيران وتركيا مكان الصدارة في مؤتمر الأستانة الأخير حول سورية، غابت المملكة العربية السعودية وقطر اللتان انفقتا المليارات وآلافطنان الأسلحة للمعارضة السورية، ولم توجه لهما الدعوة، في ظل سياسة "تهميش" واضحة لا تحتاج إلى اثبات.

وإذا مضى الرئيس الجديد دونالد ترامب قدماً في تهديداته بإرغام دول الخليج على دفع ربع عوائدها كجزية مقابل الحماية الأمريكية، وأعطى الضوء الأخضر لضحايا هجمات الحادي عشر من سبتمبر لمقاضاة السعودية أمام محاكم أمريكية، وطلب تعويضات قد تصل إلى أربعة تريليون دولار، فإن الصورة تبدو أكثر من سوداوية.

السيد عادل الجبير وزير الخارجية السعودي، تخلّى كلياً عن "صوريته"، وتصريحة النارية، وتحول إلى حمامه وديعة، أثناء المؤتمر الصحفي المشترك الذي عقده أمس مع نظيره الفرنسي جان مارك أورليت عندما قال "حاولنا إقامة علاقات جيدة مع إيران، إلا أن النظام الإيراني لم يتدخل عن عدائءه، وتدخله في شؤون دول المنطقة منذ قيام الثورة الخمينية"، وأضاف "إن المملكة لم تفجر السفارات الإيرانية، ولم تقم بإغتيال دبلوماسيها، لأنها ليست من أخلاقينا، وفي نهاية المطاف، إيران دولة مجاورة وإسلامية ومن الأفضل للجميع أن لا تكون هناك خلافات أو مواجهات، ولكن يد واحدة لا تصفق".

لو قال السيد الجبير، أو سلفه الراحل الأمير سعود الفيصل، هذا الكلام عن "التدخل" في شؤون الدول الأخرى قبل خمسين عاماً، عندما كانت المملكة حمامه سلام، ووسيط له وزنه واحترامه في تسوية القضايا الإقليمية، وتقرير وجهات نظر المتخصصين، لا يدناه، وبصمتنا بالعشرة على كلامه، ولكن بعد تدخلها بالمال والسلاح في سورية، وتمويل وتأسيس المليشيات وتسلیحها، وارسال مئتي من طائرات "عاصفة الحزم" لقصف الفقراء العزل الجيع المعدومين في اليمن، وقتل الآلاف منهم، فإن من حقنا أن نطالبه، وكل المسؤولين السعوديين بالكف عن تردّيد هذه العبارة، لأنها لم تعد مقبولة علاوة على كونها تدين أصحابها، وهذا لا يعني أننا لا ندين بكل قوة التدخلات الإيرانية أيضاً.

نعود إلى الرغبة الخليجية التي حملها وزير الخارجية الكويتي إلى الرئيس الإيراني حسن روحاني الذي سلمه رسالة أمير الكويت التي تتضمنها، ونعيد التذكير، لو ان المملكة العربية السعودية تبنت مبدأ الحوار، ومن موقع قوة، قبل ثلاث أو أربع سنوات لحققت الكثير من المكاسب.

نشر أكثر ونقول ان السعودية والدول الخليجية خسرت ما يقرب "تريليون" دولار (الف مليار دولار) عندما رفضت بعناد غير مسبوق، كل توسّلات شركاؤها في منظمة "أوبك" تخفيض سقف الانتاج مليون ونصف مليون برميل يومياً للحفاظ على أسعار النفط التي كانت في حينها 120 دولاراً للبرميل، وذلك لإحداث شلل في الاقتصادين الإيراني والروسي، الداعمين للحكومة السورية في دمشق، مما أدى إلى انهيار الأسعار إلى

حوالي 30 دولار للبرميل (ارتفعت الى 45 مؤخرا)، وخسارة دول الخليج مجتمعة 380 مليار دولار سنويا، ومن المفارقة انه بعد ثلاثة أعوام وافقت السعودية على تخفيض انتاجها دون تخفيض انتاج النفط الإيراني، مما أدى الى تحسن طفيف في الأسعار، ولكن بعد "خراب مالطا".

والاهم من ذلك انه لو جنحت المملكة للحوار مع ايران والتوصل الى تفاهمات حول تسوية الخلافات، ربما لما وقعت في مصيدة الحرب في اليمن، وتکبّدت كل هذه الخسائر المادية والبشرية والعسكرية والسياسية. نحن مع حل المشاكل والأزمات الخليجية والعربية مع ايران بالحوار في اطار مراجعة شاملة لكل السياسات الخاطئة والانفعالية المزاجية التي أدت الى كل الكوارث المذكورة آنفا، فالادارة الامريكية تعاورت معها، وكذلك الدول السُّلْطُونِيَّة بقيادتها، وجرى التوصل الى الاتفاق النووي، فهل دول الخليج السُّلْطُونِيَّة بقيادة السعودية اكثر قوة من أمريكا والدول السُّلْطُونِيَّة الاعضاء في مجلس الامن، بالإضافة الى المانيا؟

نتمنى لمبادرة امير الكويت في فتح قنوات الحوار والتفاهم مع ایران كل النجاح، فإیران دولة مجاورة وإسلامية، وبيننا وبينها قواسم مشتركة كثيرة تاريخية وثقافية ودينية، أي ان ما يجمعنا اکثر بكثير مما يفرقنا، وكل ما نحتاجه كعرب هو الحكمة، والتواضع واستخدام العقل واستيعاب دروس التجارب السابقة المؤلمة تحديدا، والعمل على امتلاك أسباب القوة والاستقرار في الوقت نفسه.

لم نزر طهران منذ زيارتنا اليتيمة لها قبل عشرين عاما، رغم الدعوات العديدة التي وصلتنا، ويبدو ان زيارتنا الثانية باتت وشيكة، وسنقبل اول دعوة تأتينا بعد زيارة وزير الخارجية السعودي، او ربما العاهل السعودي نفسه لها، وستحتفل بعودة العقل والحكمة، والعلاقات الخليجية الإيرانية كاملة، وإعادة افتتاح السفارة السعودية.. والأيام بيننا.